[وفيها تُوفِّي]

محمد بن الطيب[١]

ابن سعيد بن موسى، أبو بكر، الصبَّاغ، البغدادي، وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة، وسمع الحديثَ الكثير، وقال [الخطيب: حدثني] رئيس الرؤساء أبو القاسم علي ابن الحسن [قال]: تزوَّج محمد بن الطيب زيادة على تسع مئة امرأة، وتُوفِّي ببغداد في ربيع الآخر، [وحدَّث عن أحمد بن سلمان النَّجاد وأبي بكر القَطيعي وغيرهما]. [و]قال الخطيب: كتبتُ عنه، وكان صدوقاً[٢].

السنة الرابعة والعشرون وأربع مئة

فيها عاد الوزيرُ عميدُ الدولة إلى وزارة جلال الدولة، وكانت الأحوالُ قد توقَّفت، فما زال جلال الدولة يرفق به حتى ظهر، وكان مُستَتِراً.

وفي المُحرَّم وردَتْ كتبُ أبي كاليجار والأجلِّ العادلِ أبي منصور بَهْرام بن مافَنَّة الوزيرِ إلى جلال الدولة يذكُرانِ عَوْدَهما إلى الأهواز بعد ما كانا قد عزما على قصد البصرة، وأنهما على الطاعة وإيثار الأُلفة، وكان أصحابُ أبي كاليجار قد حسَّنا له قَصْدَ البصرة، فمال إلى قولهم، فردَّه الأجلُّ العادلُ وكان وزيراً صالحاً، عاملاً ناصحاً، لم يَزِرْ لبني بُوَيهٍ بعد عبَّاد مثلُه، وكان قد بنى دار كُتبٍ ووقفها على طلاب العلم، وجمع فيها عشرة آلاف مجلدٍ ما فيها إلا أصلٌ منسوب، منها أربعة آلاف ورقة بخطِّ ابن مُقْلة.

وفي شهر صفر[٣] ظهر ببغداد عيَّارٌ ـ يُقال له: البُرْجُمي ـ يكبِسُ المحالَّ في الجانبِ الشرقيِّ ودربِ أبي الربيع بالحضرتين، وصار إلى مخازنَ فيها مالٌ عظيم، فاستولى عليها، وأخاف الناسَ، فنقلوا أموالَهم إلى دار الخلافة[٤]، بحيثُ إنَّ جماعة من

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٣ ، والمنتظم ١٥/ ٢٣٢.

(٢) بعدها في (ف) و (م) زيادة: ثقة، وهي ليست في النسختين الأخريتين، وليست في تاريخ بغداد.

(٣) في (م) و (م١): رمضان. وينظر المنتظم ١٥/ ٢٣٣.

(٤) في (م) (م١): الخليفة.

الإسْفَهسلارية والقُوَّاد أخذوا ذِمامه على منازلهم، وأُقيم الحرسُ على دار الخلافة، وزاد الخوفُ منه، حتى ما بقي أحدٌ يتجاسر أن يقول: العيَّار، بل: القائد أبو علي، وما كان يتعرَّض للنساء، ولا يأخذ من امرأةٍ شيئاً، وزاد أمرُه، وتعاظَم خَطْبُه، وشاع فسادُه، وكان يأوي إلى أَجَمَةٍ من قصبٍ شرقيَّ بغداد، وحولَها ماءٌ كثير، وفي وسطها تَلٌّ قد جعله له معقِلاً وملجأً، فاجتمع جماعةٌ من الإسْفَهسلارية وخرجوا إليه في جُملة العساكر، فخرج إليهم البُرْجُمي وعلى رأسه عَلَمٌ، وقال: من العجب أنكم تأتون إليَّ وأنا كلَّ ليلةٍ عندكم، فإن شئتم أن ترجعوا و أنا أجيء إليكم فعلتُ، وإن شئتم أن تدخلوا إليَّ فادخلوا، فراسلَه كُبراؤهم، وقَوَّوا نفسَه، وردُّوا عنه الغِلمان.

وفي شوال[1] اشتدَّ فسادُه، وكبسَ الدورَ جَهاراً، فاجتمع العوامُّ يومَ الجمعة إلى الرُّصافة، ومنعوا الخطيب [أبا الحسين ابن العريف] من الخطبة وقالوا: إن خطبتَ للعيَّار البُرْجُمي وإلَّا فلا تخطُب للخليفة [ـ من عِظَم ما نالهم من البُرْجُمي ـ] ورجموه، وبلغَ من أفعال البُرْجُمي أنَّ أحد وجوه الأتراك بسوق يحيى أراد أن يختِنَ ولدَه فلم يقدِرْ حتى أهدى للبُرْجُمي حملاناً وفاكهةً وشراباً، وقال: هذا نصيبُكَ من طهور ولدي واستذمَّ منه على داره.

[قلت: انظروا يا قوم إلى هذا الوهن العظيم البائن مع وجود الخليفة والملك وعشرين ألفاً من العساكر].

وفي جمادى الأولى تغيَّرت نيَّة الغِلمان على جلال الدولة، وأتَوا إلى بابه، فنهبوا الخيل التي كانت عليه، وشكَوا من إهمالِه أمورَهم، وطالبوه بالانحدار إلى واسط والبصرة، وأن يكون بعضُ أولاده عندهم، وهجمت عليه طائفةٌ من باب البستان، وضربه واحدٌ بآجُرَّة في صدره، وأحاطوا به وأخرجوه إلى دِجلة، وأنزلوه في سُمَّارية ثم قالوا: ما هذا مصلحة، فربما عبر إلى الجانب الغربي واحتمى بالكَرْخ، والصواب حَمْلُه إلى مجمع الغلمان لينظروا فيه. ومالتِ السفينةُ، فابتلَّت ثيابهُ، فأخرجوه وشتموه شتماً قبيحاً، وأقاموه في الشمس، وجاؤوا به، فلمَّا وصل إلى باب داره تكاثر عليهم الناس، فدخل المسجد، وشرع في الصلاة والدعاء، وجاء القائد أبو الوفاء فاستنقذه

(١) في (م) و (م١): شعبان.

منهم، وعبر به إلى داره، فلمَّا كان في الليل نقل ما بقي في داره إلى الكَرْخ، وعبرَ هو وحُرَمُه، فخرج أهل الكَرْخ والمرتضى فقبَّلوا الأرضَ بين يديه، وأنزله المرتضى في داره مع حُرَمِهَ، وكانت بدرب جميل، ونزل الوزير أبو القاسم في دارٍ مقابلها، ثم اجتمع الغلمان من الغد، وعقدوا الجسور، وعزموا على قصد الكَرْخ ليأخذوه منها، ثم اختلفوا، فقال الخائفون مِنْ عُقبى ما جَنَوا: هذا الملكُ قد أخذ أموالَنا، وأجاعنا، وما ينفع فيه عدلٌ، ولا يُصلِحُه قبيحٌ ولا جميل، وقد كان منَّا إليه ما لا تصفو له معنا نيَّةٌ. وقال آخرون: فما الذي نفعل؟ فهل ها هنا مَنْ نجعله عوضاً عنه؟ وما بقي من بني بُوَيه إلَّا هو وأبو كاليجار، وقد اصطلحا! ومضى إلى فارس، فاتَّفقوا على أن يكتبوا إليه ورقةً يقولون: نحن عبيدك، وقد ضيَّقْتَ علينا مرةً بعد مرةٍ، وتَعِدُنا ولا نَجِدُ له أثراً، ولك [ممالكُ كثيرةٌ، فاطرَحْ كَلَّك[١] عليهم مُدَّة، ووفِّرْ علينا هذه الصُّبابة[٢] من المادّة، وانحدِرْ إلى واسط فاجمَعْ لنا ذلك][٣]. فأجاب بأن هذه أيام صومٍ وحَرٍّ، وإذا انقضَتْ خرجنا، فقالوا: هذه مدافعةٌ، وما نتركه إلا ينحدر اليوم أو غداً، وهو يماطلهم، وبعث إلى أصاغرهم فاستمالهم، وعلموا، فباكروا دارَ المرتضى، ودخلوا فقبَّلوا الأرضَ بين يديه، وسألوه الرجوعَ إلى داره، فرجع، وارتفعَتْ منزلةُ المرتضى عنده بما فعل معه.

قال المصنف رحمه الله: قبَّح اللهُ همَّة هذا الملك.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسين بن أحمد[٤]

أبو الحسين، ابن السمَّاك، الواعظ، البغدادي، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، وكان يعظ بجامع المنصور والمهدي، ويتكلَّم على طريقة الصوفية.

---

(١) الكَلُّ: الذي يكون عبئاً على غيره. المعجم الوسيط (كلل).

(٢) الصُّبابة: البقية القليلة من الماء ونحوه. المعجم الوسيط (صبب).

(٣) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١١٠ ، والمنتظم ١٥/ ٢٣٧-٢٣٨ .

سُئل عن ألِفِ أبابيل: هي ألِفُ وصل أم قطع؟ فقال: ألِفُ سخط.

وذكر عن أنس بن مالك[١] قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّتْ موعظَتُه عن القلوب كما يزِلُّ المطرُ عن الصَّفا ».

وقد تكلَّموا فيه، وكانت وفاته ببغداد في ذي الحجَّة.

السنة الخامسة والعشرون وأربع مئة

فيها جرى على بغداد من العيَّارين[٢] ما لم يَجْرِ مثلُه [في بلدٍ]، وسببُه البُرْجُميُّ، فإنَّه واصل العَمْلات، وجعل القطيعةَ في كلِّ يوم على الأسواق، ونهبَ الخاناتِ والدُّور نهباً جَهاراً[٣]، ولبس الناسُ السلاحَ ليلاً ونهاراً، وجَدَّ الخليفةُ والسلطانُ في طلبه[٤]، ثم راسل [البُرْجُميُّ] أصحابَ المعونة أنه يحفظ البلد، ويأخذ منه دَخْلَ الخاناتِ والقِيان، فأُجيبَ [إلى ذلك، وجَرَتْ فضائحُ لم يرَوا مثلَها]، ثم إنَّ العيَّارين طمعوا وأدخلوا أيديهم في أعمال السلطان، وجَبوا البلد، وعملوا لهم أعلاماً[٥] مُذْهَبة، وسُمُّوا بالقادة، ونهبوا بغداد من الجانبين، فبذل معتمدُ الدولة في البُرْجُمي مالاً كثيراً، ورصده حتى خرج من الأَجَمَة، وقد كَمَنَ له جماعةٌ، فأخذوه غيلةً، فأمر معتمد الدولة بتغريقه، فبذل في نفسه أموالاً عظيمةً وجواهر، فقال [له]: قتلتَ النفوسَ، وأخذتَ الأموالَ، وأستبقيك؟! لا واللهِ، فغرَّقَه، وسكنتِ الدنيا، وزالتِ الفتن، وتاب بعضُ العيَّارين، وهرب البعضُ.

وفيها هبَّتْ بنَصيبين ريحٌ سوداءُ قلعَتْ مُعظمَ شجرها، وكان بين البساتين قصرٌ من حجارة، فرمَتْه من أصله.

---

(١) هكذا في النسختين (خ) و(ف)، وهو وهم، والصواب: عن مالك بن دينار من قوله، وليس مرفوعاً.
وجاء على الصواب في الزهد لعبد الله بن أحمد ص ٣٢٣، وتاريخ بغداد ٤/ ١١٠، واقتضاء العلم العمل (٩٧)، والحلية ٦/ ٢٨٨ وغيرها من المصادر.

(٢) في (م) و(م١): العيار.

(٣) المثبت من (م١)، وفي باقي النسخ: ونهب الخانات والدور نهاراً.

(٤) في (م) و(م١): في طلب البرجمي.

(٥) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: أعمالاً، والمثبت من (م) و(م١).